تراثنا

نشرة فصلية تصدرها

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث

العدد الثالث (١٢) ـ السنة الثالثة ـ رجب ١٤٠٨هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث

- الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والمهتمّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.
- الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة.
- ترتيب المواضيع يخضع لاعتبارات فنّية، وليس لأيّ اعتبار آخر.
- النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها.

المراسلات :

تعنون باسم: هيئة التحرير

بيروت ـ بئرالعبد ـ مقابل البنك اللبناني / الفرنسي

ص. ب ٢٤/٣٤ ـ تلكس ٤٠٥١٢ ـ ت: ٨٢٠٨٤٣

تراثنا

العدد الثالث [١٢] / السنة الثالثة / رجب ـ شعبان ـ رمضان ١٤٠٨ هـ . ق.

الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث.

الكمّية: ١٠٠٠ نسخة.

قيمة الإشتراك السنوي في نشرة تراثنا ١٥ دولاراً داخل لبنان ، و٢٥ دولاراً في البلاد العربية وأوروبا وآسيا وأفريقيا والأمريكيتين واستراليا . بضمنها أجور البريد المضمون .

الشيخ حسين الصحّاف

الشيخ جعفر الهلالي

نواصل حديثنا في هذه الحلقة حول شاعر آخر من الشعراء المنسيّين في الأحساء وهو: الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد الصحّاف.

وقد سبق منا الحديث حول والده الشيخ علي الصَحّاف، وولده هذا من أفاضل الأعلام في الأحساء، وهو بالإضافة إلى ما له من منزلة ومكانة علمية فقد كان أديباً شاعراً.

ولادته:

ولد المترجَم له في إمارة الكويت سنة ١٣٠٣ هـ .

نشأته ودراسته:

نشأ شاعرنا على يد والده الشيخ علي وأخيه الشيخ أحمد، ويظهر أنّه أخذ أوائل تحصيله العلمي على يديهما، وبعد وفاة والده وأخيه سافر إلى النجف الأشرف طلباً للعلم، وهناك لازم سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ موسى أبوخمسين [1] فأخذ على يده بعض العلوم، وبعد مغادرة الشيخ موسى النجفَ متوجّهاً إلى الأحساء انقطع المترجَم له إلى

(١) الشيخ موسى أبوخمسين هو أحد أعلام اسرة آل أبي خمسين في الأحساء، وهو أحد المراجع في التقليد هناك، وكان يتمتّع بمنزلة مرموقة وشهرة علمية، وأُسرته إلى اليوم في الأحساء، اشتهر منهم علماء وأُدباء.

حجّة الإسلام و المسلمين السيد ناصر الأحسائي [٢] و أخذ عليه باقي تحصيله كما دَرَس على يد غيره من أعلام النجف، و لم يزل مثابراً على تحصيله حتى حصل على درجة الاجتهاد.

شعره و شاعريّته:

كان المترجَم له يقرض الشعر على عادة كثير من علماء أُسرته إلّا أنّه كان مقلّاً فيه، و شعره متوسّط المستوى نُظم في بعض المناسبات الدينية و خصوصاً في مدح و رثاء آل الرسول ـ صلّى الله عليه و آله ـ إلّا أنّ شعره ضاع كغيره ممّن ضاع شعره من سائر علماء و أُدباء منطقته و لم نعثر له إلّا على قصيدة واحدة نظمها في رثاء الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ ستمرّ علينا أثناء الحديث.

وفاته:

توفي المترجَم له في مدينة سوق الشيوخ في العراق أثناء الحرب العالمية الثانية وذلك عند عودته إلى الكويت مارّاً بسوق الشيوخ، وقد نقل جثمانه إلى النجف الأشرف، فتأخّرت جنازته ١٦ يوماً و كان الوقت صيفاً، وينقل عن السيد ناصر الأحسائي أنّه قال: فوالله العظيم ما وجدنا أيّ تغيّر على الجثمان، و لم يتعفّن، وما شممنا منه إلّا رائحة الكافور.

أقول: وهذا يدلّ على جلالة قدر المترجَم له، و كذلك تكون كرامة الله لأوليائه.

وهنا أُقدّم للقارئ هذه القصيدة للشاعر كنموذج، قالها في رثاء الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ:

أمنزلَ أهلِ الوحي ما لكَ مُقْفِراً ... بِكَ الدارُ ظَلْما [٣] بَعْدَ ما كُنْتَ مُسْفِرا
أهل بِهِمُ اَسْتَبْدَلْتَ أهلاً وصاحباً ... وتنظرُ أنْ يأتوا فلا زِلْتَ مُغْبِرا

---

(٢) السيد ناصر الأحسائي هو أيضاً أحد مراجع التقليد في الأحساء، وقد رجع إليه جماعة كثيرون في النجف والبصرة وسوق الشيوخ والكويت والأحساء، ومن أنجاله سماحة الحُجّة السيد علي الموجود حالياً في مدينة الدمام.

(٣) ظَلْما: أصلها ظلماء من الظلام، ولكن حَذف الشاعر همزة الكلمة لضرورة الشعر.

أم استبدلوا أهل العُلى بكَ مَنْزِلاً ... فساروا إليهِ أمْ أبُوا الموتِ كَبَّرا
فقالَ مُجيباً للسؤالِ ودَمْعُهُ ... كَسَيْلٍ جَرى مِن شاهقٍ وتَحَدَّرا
فلا استبدلوا مِنّي مَكاناً ولا بِهِم ... أخذتُ رجالاً لا وعِزَّةِ مَنْ بَرا(٤) (٥)
وكيفَ يَطيبُ العيشُ مِنْ بَعْدِهِم وهُمْ ... مِنَ الناسِ ما بَيْنَ الثُرَيّا إلى الثَرى
ولكنْ دَعاهُم مَنْ بَراهُمْ فأسْرَعُوا ... مُلَبِّينَ للداعي ويانِعْمَ مَعْبَرا
وساروا ولكنْ في ثَرى الطَّفِّ عَرَّسُوا(٥) ... بأُسْدٍ وَعنْهُم قَصَّرَتْ أُسُدُ الشَرى
بِيَوْمٍ سُكارى تَحْسِبُ الناسَ عِنْدَهُ ... وما هُمْ سُكارى لكنِ الحَرْبَ حيَّرا
فَللّهِ هُمْ نَيْفٌ وسَبْعونَ فارِساً ... لقد قابلوا سبعينَ ألفاً وأكثرا(١٠)
وما رعبوا بل أرْعَبوا الموتَ والعِدى ... وما ضَعُفوا والكلُّ للحربِ شَمَّرا
وقد صيّروا السبع الطباق ثمانياً ... فعادت اراضي السبع ستاً وأقصرا(٦)
وكلُّ جَوادٍ سابحٌ بدمائِهِم ... كما سَبَحَتْ أهلُ المكارِمِ في الثَرى(٧)
إذا اعتدَلوا قَطُّوا وَقَدُّوا إذا اعتلوا ... فَقَطٌّ وَقَدٌّ بينهم قَدْ تَبَعْثَرا
فما وَجدوا طَعْمَ الأسِنَّةِ والظُّبا ... وما نالَهم إلّا سويقاً وسُكَّرا(٨) (١٥)
فيا نِعْمَ أنصاراً ويانِعْمَ صَفْوَةً ... ويانِعْمَ جُنْداً في اللقاءِ وعَسْكَرا
ولَمّا أرادَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... نُفُوذَ القَضا فيهِمِ لِربِّهم جَرى
فَخَرُّوا على البوغاءِ للهِ سُجَّداً ... كَمِثْلِ نُجُومٍ حِينَ خَرَّتْ على الثَرى
وَقامَ فريدُ الدِينِ مِنْ بَعْدِ فَقْدِهِمْ ... وصالَ على الأعداءِ لَيْثاً غَضَنْفَرا
فَجَدَّلَ أبطالاً وأرْدى فوارِساً ... وَنَكَّسَ أعلاماً وَآخَرَ دَمَّرا (٢٠)

---

(٤) برا: أي برأ، يقال: برأ بَرْأً وبُرءاً وبُرُوءاً خلقه من العدم، والبارئُ هو الخالق.

(٥) عرّسوا: نزلوا، يقال: عرّس القوم، أي:نزلوا من السفر للاستراحة ثمّ يرحلون.

(٦) هذا المعنى قد تناوله مجموعة من الشعراء، من ذلك قول السيد جعفر الحلي:

أحالَ أرضَ العِدى نقْعاً بِحَمْلَتِهِ ... ولِلسماءِ سَمامِنْ قَسْطَلٍ سَمَكا
فأنْقَصَ الأرَضِينَ السبْعَ واحدةً ... مِنْها وزادَ إلى أفلاكِها فَلَكا

(٧) الثَرى: النَدى جمع أثراء.

(٨) وأروع ما ورد في هذا المعنى هو قول الحاج هاشم الكعبي:

وَمَرُّوا على مُرِّ الطِعانِ كأنَّهُ ... لَدَيْهِم جَنِيُّ النَحْلِ بَلْ هُوَ أطْيَبُ

وَعَيْناهُ عَيْنٌ للعِدى ناظِرٌ بِها ... وأُخْرى لِمَنْ قَدْ عَوَّدُوها التَّخَدُّرا(٩)
فما زالَ في ذا الحالِ في الكَرِّ حاكِياً ... أباهُ أميرَ المؤمنينَ وحَيْدَرا
وفي يَدِهِ ذاتُ الفقارِ فَكَرْبَلا ... بِها لَمْ تَجِدْ إلّا دِماءً وَعِثْيَرا(١٠)
وَلَمّا بِها أحْيا شَريعةَ جَدِّهِ ... وكانَ لَها نُوراً وَفَخْراً وَمَظْهَرا
(٢٥) فناجاهُ في طُورِ الجَلالَةِ رَبُّهُ ... فَخَرَّ كَما خَرَّ الكَليمُ على الثَرى(١١)
وَفَرَّ إلى نَحْوِ الخِيامِ جَوادُهُ ... فَفَرَّتْ بَناتُ الوَحْيِ يَنْظُرْنَ ما جَرى
فَأبْصَرْنَ شِمْراً جالِساً فوقَ صَدْرِهِ ... وقَدْ كانَ للتوحيدِ لَوْحاً وَمَصْدَرا
وَيَفْري بِحَدِّ السيفِ أوداجَ نَحْرِهِ ... فَشَلَّتْ يَداهُ أيَّ نَحْرٍ يَفَرى
وَشالَ على رأسِ السِّنانِ كَريمَهُ ... كَمِثْلِ هِلالٍ فيهِ قَدْ لاحَ نَيِّرا
(٣٠) فَزُلْزِلَتِ الأرْضونَ وَاحْمَرَّتِ السَّما ... عليهِ وَلَوْنُ الشمسِ حُزْناً تَغَيَّرا
وأعْظَمُ ما رَجَّ العَوالِمَ والهُدى ... وَزَلْزَلَ قَلْبَ الدِّينِ حَتى تَفَطَّرا
وُقُوفُ بَناتِ الوحيِ في مَجْلِسٍ حَوى ... لِكُلِّ دَعِيٍّ راحَ يُبْدي التَّجَبُّرا
وَنَغْلُ ابْنِ هِنْدٍ ضاحِكٌ مُتَرَنِّمٌ ... بِيالَيْتَ أشياخِي بِبَدْرٍ لِتَنْظُرا
وَبَيْنَ يَدَيْهِ ذلكَ الطِشْتُ ناكِتاً ... ثَنايا حُسَيْنٍ، يالَعظمِ الذي اجْتَرى!
(٣٥) وما زالَ يُبْدي مِنهُ ما كانَ كامِناً ... مِنَ الحِقْدِ والبَغْضاءِ حَتى تَجَسَّرا
وَسَبَّ عَلِيَّ المُرْتَضى غَيْرَ خائِفٍ ... مِنَ اللهِ والسَجّادُ يَسْمَعُ ما جَرى(١٢)

هذا آخر ما وقفنا عليه من هذه القصيدة لشاعرنا المترجَم له، كما أننا لم نقف له على غيرها من القصائد، وقد ذكر أنّ له قصائد في مدح النبي ـ صلّى الله

---

(٩) وفي هذا المعنى يقول الشيخ عبدالحسين الأعسم:

يُراعي بإحدى مُقْلَتَيْهِ خِيامَهُ ... وَيَرْصُدُ بالأُخرى العِدى حِينَ تَزْحَفُ

(١٠) العِثْيَر: التراب، والعجاج.

(١١) وخير من صوّر هذا المعنى هو الحاج محمد علي كمّونة بقوله:

ولَمّا تَجَلّى اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... لَهُ خَرّ تعظيماً له ساجِداً شُكْرا

(١٢) نقلنا هذه القصيدة للشاعر من كتاب «تذكرة الأشراف في ترجمة آل الصَّحّاف» لمؤلفه الشيخ كاظم الصحّاف، وهو أخو المترجَم له، والكتاب مخطوط موجود في الأحساء عند بعض أفراد أُسرة المؤلف.

عليه وآله- وسائر أهل البيت -عليهم السلام- ولعلّها فُقدت، ونختتم الحديث عن الشاعر، ولنا عودة مع القارئ في التحدّث عن شاعر آخر، ومن الله نستمدّ العون وهو الموفّق للصواب.

* * *